من أسرار النداء

فى القرآن الكريم

دراســـة بيـــانية

بقلم دكتور صبحى رشاد عبد الكريم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمـد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه .

وبعـــد ...

فمن الأساليب العربية العالية أسلوب النداء وهو أسلوب كثـير الدوران على الألسنة لأنه تنبية اداع الفطرة ، وهمزة الوصـــل بين المتحدثين وواو الربط بين المتباعدين ، به يصير البعيد قريبا ، والعدو صديقا وحبيبا فهو الأدم الذى يؤتدم به الخطاب .

لقد تنوعت صوره فى القرآن الكريم وتعددت مظاهره فى اللغـة مما يتطلب النظر فيه واظهار لطائفه وخوافيه خصوصا وكتب البـلاغة لم تعطه من صفحاتها صفحة وهو جدير بأن تسطر فيه أوراق .

انه أسلوب منبه مثير لافت موقظ ونحن أحوج ما نكون الى تذكير وايقاظ ، فالذكرى تنفع المؤمنين كما أن الأيقاظ مطردة لكسل الغافلين.

وهو أسلوب موجه مرشد كما ورد « اذا رأيت الله يقول يأيهـا الذين آمنوا فارعها سمعك فانه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه .

ويتكرر النداء فى الموطن الواحد ليدل على استقلال كل أمر ، أو ليفرغ المنادى فى مقامات الدعاء والخشوع ما عنده من أمل فى العفو والصـــفح .

لقد نادى الشعراء الأطلال والديار وبثوا أحـزانهم وشـكوا أشجانهم ، ونادى العباد ربهم تضرعا وخفية ودون الجهر من القـول وهو نداء العابدين ونادوه سبحانه صائحين خـوفا من تخافهم عن رحابه وطمعا فى جنته وثوابه •

ونادى الله عباده ورسله وأنبياءه وأرضه وسماءه فأوقفهم بين يديه ودلهم عليه •

وبدأ العديد من سور القرآن بنداء النبى ، والناس ، والمؤمنين استئناسا ولطفا وتنبيها وارشادا للحائرين •

ونقاد الكلام يعدون الافتتاح بالنداء من المطالع الحسنة فقـد جعل من أجود ما ابتدأ به شاعر قول « أمية بن أبى الصلت » :

يا نفس مالك دون الله من واق ولا للسع بنات الدهـر من راق

لهذا ولغيره أجعل هذا البحث عن النداء فى اللغة والقرآن الكريم وهو نواة مصغرة أرجو من الله أن تؤتى أكلها ولو ثمرة ، فأبدأ ببيان معناه فأقـول :

معنى النـــداء :

النداء والنداء : الصوت مثل الدعاء والرغاء : وقـد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء ، أى : صاح به • وأندى الرجـل اذا حسـن صوته ، والندى بعد الصوت ، ورجل ندى الصوت : بعيده • والنداء ممدود : الدعاء بأرفع الصوت ، وفلان أندى صوتا من فلان ، أى : أبعد مذهبا وأرفع صوتا •

وفى تفسير قوله تعـالى : « يا قومى انى أخاف عليـكم يوم **التناد** » قال الزجاج : معنى يوم التناد يوم ينادى أصحاب الجنـة

أصحاب النار أن أفيضوا علينـــا من المـــاء أو مما رزقـــكم الله •

والنداء ممدود : الدعاء بأرفع الصوت ••

وفى حديث الأذان : « علمه بلالا فانه أندى منك صوتا » أى أرفع وأعلى ، وقيل : أحسن وأعذب ، وقيل : أبعد •

وفى الحديث أيضا : « واجعلنى فى الندى الأعلى » بالتشديد : النادى •أى : اجعلنى مع الملأ الأعلى من المـــلائكة ، وفى رواية : « واجعلنى فى النداء الأعلى » أراد نداء أهل الجنة أهل النار • « أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا » •

وفى التهذيب ، قال : نادى : ظهر ، وناديته : أعلمتـــه ، ونادى الشىء : رآه وعلمه (١) •

واضح أن المـــادة تفيد الأظهار والاعـــلام ويكون ذلك بعلو الصوت والصياح ولكن هل كل نداء يلزمه علو الصوت وارتفـــاعه ؟ الغالب ذلك ، وبعضه يلزمه حسن الصوت ونداوته وعذوبته كما يرشد الى ذلك حديث الأذان • فكثيرا ما يبث الانسان منا لواعجه وأحـــزانه الى ربه ويناديه ويكون أخشع ما يكـــون اذا كان ذلك سرا والى ذلك ترشد الآية الكريمة « ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين، ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمـــة الله قريب من المحسنين » •

وفى الحديث : « اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا مجيبا » •

قاله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لمـــا رأى تجاوزهم فى الدعـــاء بارتفاع أصواتهم فيه •

---

(١) اللسان ـ ندى •

وعلينا اذن أن نخلص الى أن ثمة فرقا بين النداء اذا قصد منه مجرد الاعلام فان ذلك يستدعى ارتفاع الصوت وعلوه فاذا قصد من النداء الدعاء والتضرع فكثيرا ما يتخلى عنه ذلك على حسب حالة الداعى ولكن الخشوع المؤمن يتطلب الضراعة الصوتية وعذوبة النبرة وهدوء النفس فالآمر اذن مناجاة أرواح لا مناداة أشباح •

جاء فى سبب نزول قوله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » (البقرة — ١٨٦) •

« عنى » : أى : عن قربى وبعدى اذ ليس السؤال عن ذاته تعالى « فانى قريب » أى فقل لهم ذلك بأن تخبر عن القرب بأى طريق كان والقرب حقيقة فى القرب المكانى المنزه عنه تعالى فهو استعارة لعلمه تعالى بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على سائر أحوالهم • وأخرج سفيان بن عيينة وعبد الله بن أحمد عن أبى قال : قال المسلمون : يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله الآية : وقوله تعالى : « أجيب دعوة الداع اذا دعان ، دليل للقرب وتقرير له فالقطع بين هذه الجملة وما قبلها لكمال الاتصال (٢) • النداء لذوى العلم أغلب ما يكون علانية مع رفع الصوت •

فالمناجاة ليست المناداة اذ هى تطلق على الحديث السرى : «يقال نجاه نجوا ونجوى ساره • والنجوى والنجى : السر • والنجو : السر بين اثنين ، يقال نجوته نجوا أى سررته ، وكذلك ناجيته والاسم النجوى • وفى التنزيل : « واذ هم نجوى » وانما النجوى فعلهم كما تقول : قوم رضا ، وانما رضا فعلهم قال : هذا فى معنى المصدر ،

---

(٢) روح المعانى ٢/٦٢ •

واذ هم • ذوو نجوى وا نجوى اسم للمصدر • ومن أجل ذلك لا يتغير مع الموصوف • فيقال : هم نجوى ، وهما نجوى •

وفى حديث الدعاء : « اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك » • — لأن موسى كليم الله — •

وفى حديث على — كرم الله وجهه — : دعاه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم الطائف فانتجاه فقال الناس لقد طال نجـواه ! فقال : « ما انتيجينه ، ولكن الله انتجاه ! أى : أمرنى أن أناجيه » (٣)•

ولمـا كان الحديث الهادى أحفظ للوقار وأكثر رعاية فى مخاطبة العظام والكبار أمر المسلمون ألا ينادوا رسول الله كما ينادى بعضهم بعضا « يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمـالكم وأنتم لا تشعرون ، ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » •

ومع ما يجب من خفض الصوت عند مخاطبة حضرة المصطفى — صلى الله عليه وسلم — أمر المسلمون أن يتوسلوا الى ذلك بتقديم الصدقات التى تؤهلهم وتزكيهم وتطهرهم كى يصلحوا لهذا المقام •

« يأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلكم خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفـور رحيم » ١٢ المجادلة • فى هذه الآية •

« قال على — كرم الله وجهه — آية فى كتاب الله — عز وجل — لم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى — يقصد أنها نسخت —

---

(٣) لسان العرب (نجا) •

كان عندى دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت اذا ناجيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى • قال على فبى خفف الله عن هذه الأمة » (٤) •

أسلوب النداء بين الأساليب الانشائية :

توجيه الخطاب فى أسلوب نداء يتطلب أمورا هى :

الأداة الموضوعة للنداء ، من تناديه بها ، الغرض الذى نودى من أجله • ولكل واحد من هذه الأمور صلة بالدرس البلاغى ونسب جد قريب بعلم المعانى خاصة •

سمة الايجاز وأسلوب النداء :

يعرف النداء بأنه : طلب اقبال المدعو على الداعى بحرف نائب مناب أدعو • ويصطحب فى الأكثر الأمر والنهى ، والقالب تقدمه ، وقد يتأخر • أى : عن الأمر والنهى • فحرف النداء ناب مناب « أدعو » ولا شك أنه أخف محملا على اللسان وأقل حروفا ولذلك وضع للنداء حروف خاصة به جمعها ابن مالك فى قوله :

وللمنادى الثاء أو كالثاء يا
وأى وآ كذا أيا ثم هيا
والهمز للدانى ووا لمن ندب
أويا وغير وا لدى الالبس اجتنب

وفى نيابة حرف النداء مناب الفعل أدعو لا ترى ثمة فرقا بين النائب والمنوب عنه فى المعنى مما دعى صاحب اللسان أن يقول : « يا :

---

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٣٢٧ •

حرف نداء وهى عاملة فى الاسم الصحيح وان كنت حرفا ، والقول فى ذلك أن لـ « يا » فى قيامها مقام الفعل خاصة ليست للحروف،وذلك ان الحروف قد تنوب عن الأفعال كـ « هل » فانها تنوب عن استفهم وكـ «ما» و «لا» فانهما ينوبان عن أنفى و «الا» تنوب عن استثنى. تلك الأفعال النائبة عنها هذه الحروف هى الناصبة فى الأصل . فلما انصرفت عنها الى الحرف طلبا للايجاز ورغبة عن الاكثار أسقطت عمل تلك الأفعال ليتم لك ما انتحيته من الاختصار وليس كذلك «يا» وذلك أن «يا» نفسها هى العامل الواقع على زيد وحالها فى ذلك حال أدعو وأنادى فيكون كل واحد منهما هو العامل فى المفعول . وليس كذلك قتلت وضربت ونحوه ذلك أن قولك : ضربت زيدا وقتلت بشرا العامل الواصل اليهما المعبر بقولك : ضربت عنه ليس هو نفس « ض ر ب ت » انما ثم أحداث هذه الحروف دالة عليها وكذلك القتل والشتم والاكرام ونحو ذلك ، وقولك : أنادى عبد الله وأكرم عبد الله ليس هنا فعل واقع على عبد الله غير هذا اللفظ و «يا» نفسها فى المعنى كأدعو ألا ترى أنك انما تذكر بعد «يا» اسما واحدا كما تذكره بعد الفعل المستقل بفاعل اذا كان متعديا الى واحد كضربت زيدا وليس كذلك حرف الاستفهام وحرف النفى ... فلما قويت «يا» فى نفسها وأوغلت فى شبه الفعل تولت بنفسها العمل » (٥) .

الثناء فيه مع الطلب تنبيه وتوكيد :

أما دلالة أسلوب النداء على الطلب فهى التزامية لأنه يتضمن طلب الاقبال فلهذا جعل النداء من أقسام الطلب ، وفيه مع الطلب

---

(٥) اللسان (يا) وقال الزمخشرى : يا حرف وضع فى أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل ممن يناديه وأما نداء القريب فله أى والهمزة ـ الكشاف ١/٤٦ .

التنبيه خلافا لمن قال انه مجرد تنبيه لا طلب فيه لأنه لا بد من وراء التنبيه شيء • قال سيبويه « فأما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء : يا ، وأيا ، وهيا ، وأى ، وبالألف نحو قولك : أحار بن عمرو الا أن الأربعة غير الألف قد يستعملونها اذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخى عنهم ، أو الانسان المعرض عنهم الذى لا يرونه أنه لا يقبل عليهم الا باجتهاد ، أو النائم المستثقل • وقد يستعملون هذه التى للمد فى موضع الألف ولا يستعملون الألف فى هذه المواضع التى يمدون فيها ، وقد يجوز لك أن تستعمل هذه الخمسة غير «وا» اذا كان صاحبك مقبلا عليك توكيدا ، وان شئت حذفتهن كلهن استغناء » (٦) •

وهذا النص يضع أمامنا تلك الحقائق عن أسلوب النداء :

١ ــ أنه يحمل مع الدلالة على طلب الاقبال التنبيه والتوكيد •

٢ ــ أن حروف النداء يحل بعضها محل بعض لغرض يدعو وحال تقتضى •

٣ ــ ان للاسم المندوب وضعا خاصا فاه «وا» « قال الرضى : وقد يستعمل فى النداء المحض وهو قليل وقال فى المغنى : أجاز بعضهم استعمال «وا» فى النداء الحقيقى » (٧) •

٤ ــ أجمعوا على أن نداء القريب بما للبعيد يجوز توكيدا دون العكس • وذلك فى غير صورة تنزيله منزلة البعيد اذ عند التنزيل المذكور لا تأكيد فتلخص أنه يجوز نداء القريب بما للبعيد للتوكيد والتنزيل والمراد توكيد النداء ايذانا بأن الأمر الذى يتلوه معنى به جدا •

---

(٦) الكتاب لسيبويه ١/٣٢٥ •

(٨،٧) حاشية الصبان ٣/١٣٤ •

أما نداء البعيد بما للقريب فمنع لعدم تأتى التوكيد ومحل منعه اذا لم ينزل البعيد منزلة القريب والا جاز نداؤه بما للقريب اذ لامانع منـــه حينئـــذ (٨) ٠

(كثيراً ما تحذف أداة النداء) :

والحذف مظهر من مظاهر الايجاز وعدم تمطيط الكلام واسترخائه وحذف جزء من التعبير يحقق أغراضا بلاغية عديدة ٠ واذا كان حـــذف حرف النداء يفوت الغرض من وجوده لا يحذف فهو مثلا لا يحذف مع المستغاث ، والمندوب ، ولفظ الجلالة ، ونداء البعيد وكذا منع البصريون حذفه مع اسم الاشارة ٠

قال ابن مالك :

وغير مندوب ومضمر وما جا مستغاثا قد يعرى فاعلما

أما انه لا يحذف مع المندوب فلأنه يفوت الغرض من الندبةففيها مد الصوت مطلوب وكذا الاستغاثة والحذف ينافى ذلك ٠ ومع المضمر يمنع الحذف لتفويت الدلالة على النداء لقلة ندائه فالمضمر لا ينادى فالصحيح منعه مطلقا ٠

وعدم الحذف مع لفظ الجلالة فذلك لأن نداءه عـــلى خلاف الأصل لوجود «أل» فيه فلو حذف حرف النداء لم يدل عليه دليل ٠

فطالمـــا أن وجود حرف النداء يحقق غرضا كان وجوده مطلوبا ٠ وتتطلب الحذف دواع أخرى وراء ذلك سنتناول شيئا منها مطبقا على آى القرآن الكريم ٠

(٨،٧) حاشية الصبان ٣/١٣٤ ٠

« يا » أصل فى النداء ولها أحكام خاصة بها :

أعم حروف النداء «يا» لأنها أم الباب فانها تدخـــل فى كل نداء خالص من الندبة والاستغاثة ، أو مصحوبة بهما • ذلك ، لأنها أندى حروف النداء وأنفذها فهى حرف وضع فى أصله لنداء البعيد ، وقـــد تستعمل فى نداء القريب لغرض بلاغى • أى أنها لنداء البعيد حقيقة أو حكما وقد ينادى بها القريب توكيدا « أى : اشارة الى أن الـــكلام الذى يلقى أو نفس الدعاء معتنى به حتى نزل القريب وان كان متنبها لذلك منزلة الغافل لكونه لم يأت بالأكمل المناسب وكفى بالغفلة بعدا وقد ينادى بها القريب لبعده رفعة نحو يا عظيما يرجى لنوائب » (٩)•

ولقد اختصت «يا» من بين أدوات النداء بأمور شأن كل أداة أو اسم هو أصل فى بابه :

فمن ذلك : أنه لا يقدر عند الحذف ــ أى : عند حذف حرف النداء فى أسلوبه ــ لا يقدر سوى الياء نحو قوله تعالى « يوسف أعرض عن هذا » (يوسف ــ ٢٩) •

« حذف حرف النداء منه لأن المنادى قريب معاطف الحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله • « أعرض عن هذا » الأمر واكتمه ولا تحـــدث به » (١٠) •

كذلك مما اختصت به الياء •

أنه لا ينادى اسم الله عز وجل ،والاسم المستغاث ، وأيهـــا ، وأيتها الا بها ، وكذا المندوب ينادى بها أو بـــ « وا » •

---

(٩) حاشية الأمير على مغنى اللبيب ٢/٤١ •
(١٠) الكشاف ٣/٨٠ •

والملاحظ أن القرآن الكريم لم يستخدم من أدوات النداء الا « يا » وقد كثر ورودها مع أى ، رأيتها وتلك طريقة القرآن التى سلكها .

لماذا كثر النداء فى كتاب الله تعالى بهذه الطريقة ؟

فوق ما فى أسلوب النداء من تنبيه واثارة ، وتقريب وادناء بلطف وتهيئة لما يلقى على المنادى من أوامر ونواه ، فمواجهة المخاطب بالأمر والنهى مباشرة فيها جفوة وقسوة لذا فيجب أن يتلطف المتكلم لأمره ونهيه حتى يقع بردا وسلاما على نفس مخاطبه فتتعشقه النفس ويصغى اليه القلب .

ولقد أخرج الله ــ تعالى ــ مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجل صورة تشتمل على أدق دقيق ، لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفى على ما أدركه فهم الخطباء .

واستقلال القرآن الكريم بهذه الطريقة فى النداء يرجع الى أمور كان الزمخشرى صاحب التنويه بها والحديث عنها .

يقول الزمخشرى : « فان قلت : لم كثر فى كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر فى غيره ؟ قلت : » لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة ، لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ » (١١) .

(١١،١٢) الكشاف ١/٤٦ .

فالسبب فى كثرة النداء على هذه الطريقة فى كتاب الله راجع الى ما فيها من توكيد ومبالغة ، لكن من أين أتت تلك المبالغة وهذا التأكيد ؟

والجواب أن ذلك عائد من أداة النداء ، لأنه عندما ينادى بها يثار المنادى ويحرك وينتبه فاذا ألقى اليه الكلام كان مستعدا لتقبله وذلك أمر عائد الى لفظ أداة النداء • يضاف الى ذك اضافة (ها) الى أداة النداء فهى تنبيه على تنبيه حيث انها ممدودة الصوت كما أن (يا) كذلك • وهذا ما يحتاج اليه فى نداء البعيد •

أمر ثالث • وهو : التدرج من الأبهام الى التوضيح •

فـ (أى) وصلة الى نداء ما فيه الألف واللام •• وهو اسم مبهم مفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجرى مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء ، فالذى يعمل فيه حرف النداء هو (أى) ، والاسم التابع له صفته كقولك : يا زيد الظريف الا أن (أيا) لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وفى هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من المبالغة والتشديد ، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لشيئين : معاضدة حرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه وهو الاضافة » (١٢) •

وهذه المبالغة فى التأكيد من مقتضى المقام ، لأن قول الزمخشرى السابق « لأن كل ما نادى الله له عباده •• » الخ علة للفعل المعلل وهو أن النداء كثر بهذه الطريقة فى كتاب الله لاستقلاله بأوجه من التأكيد •• وذلك لأن كل ما نادى الله له عباده (١٣) •

---

(١٣) حاشية البهلوان على الكشاف ٢/٢٥٨ •

كذلك كلمة (أيها) لا تستعمل الا فى النداء ، و (أيتها) مؤنث (أى) وهى يجوز تأنيثها اذا وصفت بمؤنث كقوله تعالى « يأيتها النفس المطمئنة » و (ها) بعدها حرف تنبيه فيلزم وصفه بمعرف بـ (أل) أو بموصول باسم اشارة ويلزم رفع صفتها كما فى النداء لأنه منقول منه الى الاختصاص .

ان النداء فى القرآن الكريم صورة من صور المناجاة التى ترشد الى كيفية تأدب العباد اذا قصدوا رب الأرباب بالتضرع والدعاء « فقد بين مساق القرآن آدابا استقرئت منه وان لم ينص عليها بالعبارة فقد أغنت اشارة التقرير عن التصريح بالتعبير ، فأنت ترى أن نداء الله للعباد لم يأت فى القرآن فى الغالب الا بالياء المشيرة الى بعد المنادى لأن صاحب النداء منزه عن مداناة العباد موصوف بالتعالى عنهم والاستغناء فاذا قرر نداء العباد للرب أتى بأمور تستدعى قرب الاجابة ، منها :

١ ــ اسقاط حرف النداء المشير الى قرب المنادى وأنه حاضر مع المنادى غير غافل عنه فدل على استشعار الراغب هذا المعنى اذ لم يأت فى الغالب الا : « ربنا لا تؤاخذنا » « ربنا تقبل منا » « رب انى نذرت » « رب أرنى كيف تحى الموتى » .

٢ ــ ومنها : كثرة مجىء النداء باسم الرب المقتضى للقيام بأمور العباد واصلاحها فكان العبد متعلقا بمن شأنه التربية والرفق والأحسان قائلا : يا من هو المصلح لشؤننا على الاطلاق أتم لنا ذلك بكذا وهو مقتضى ما يدعو به ، وانما أتى اللهم فى مواضع قليلة لمعان اقتضتها الأحوال » (١٤) وفى قراءة « مالك يوم الدين » ينصب (مالك) على النداء والسر فى حذف الياء أن المنادى يخاطب مشاهدا حاضرا

---

(١٤) الموافقات ــ للشاطبى ٣/٣٧٩ .

ألا تراه يقول : « أياك نعبد » (١٥) بالألتفات من الغيبة سابقا الى الخطاب فى « اياك » فكأنه قيل : يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين •

ان النداء يقدم بين يدى المخاطبات كما يقدم الاستفهام ، والعرض والتمنى والترجى والدعاء كى يكون الكلام مأنوسا فيتقبل، واذا كان للأداة المنادى بها مدخل فى عذوبة هذا الأسلوب فهى أدل صوت ينبه ويثير فان لنوع المنادى وما يتصل بندائه من أغراض أكبر الأثر فى دقة هذا الأسلوب ، ونفاسته ، والارتياح نحوه •

النداء ــ المنادى ، والغرض من النداء

يقسم النحاة المنادى الى مفرد ومضاف وشبيه بالمضاف • والمفرد فى باب المنادى ما ليس مضافا ولا شبيها به فيشمل المفرد العلم والنكرة المقصودة وغير المقصودة •

وينظر البلاغيون الى المنادى والمطلوب بالنداء نظرة واحدة أوجبت هذه النظرة عندهم أن يكون للنداء أقسام حسب ما يرشد الى ذلك السياق ويقتضى المقام ذلك أن كل جزء فى أسلوب النداء مراعى ومأخوذ فى الاعتبار دوره •

فالنداء يكون :

١ ــ نداء مدح مثل نداء الله رسله وأنبياءه وأهل وده وأحبابه بـ يأيها الرسول ، يأيها النبى ، يأيها الذين آمنوا •

٢ ــ ويكون نداء ذم مثل نداءات العصاة والكفار نحو يأيها الذين كفروا •

---

(١٥) المجاز لأبى عبيدة ١ ــ ٢٢ •

٣ ــ ويكون النداء نداء تنبيه مثل : يأيها الناس • مما فيه تذكير وايماء وحث الى ما يجب عمله •

٤ ــ ويكون نداء اضافة مثل يا عبادى وهى أيضا تقتضى تشريفا وتعظيما أو غير ذلك •

٥ ــ ويكون نداء نسبة مثل يا بنى اسرائيل •

٦ ــ ويكون نداء تسمية مثلما تنادى الأعلام بأسمائها كـ« يا نوح يا هود ، يا مريم ، يا عيسى » ويسميه الزركشى فى البرهان خطاب العين (١٦) •

٧ ــ ويكون نداء تضيف مثل يا أهل الكتاب •

ولا يخفى أن هذه الأقسام تتداخل فهى ليست قسمة فاصلة وانما هى مبينة موضحة ، فقوله تعالى : « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » خطاب كرامة • وقوله تعالى « يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم » التحريم ــ ٧ • وقوله « قل يأيها الكافرون /١ خطاب ذم • ولتضمنه الأهانة لم يقع فى القرآن فى غير هذين الموضعين • وكثر الخطاب بـ « يأيها الذين آمنوا على المواجهة ، وفى جانب الكفار على الغيبة اعراضها عنهم ، وتلك طريقة متبعة يؤدى بها أسلوب الالتفات دورا فى ابراز المعانى التى تجيش بالنفس وتخالج الفكر ، وكذا أسلوب النداء • وهذا أدب عال فى التعبير ومسلك حميد فى سياسة الأساليب فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا عتب على قوم قال : « ما بال رجال يفعلون كذا ! » فكنى عنهم تكرما وعبر عنهم بلفظ الغيبة اعراضا »(١٧)

ان ملاحظة المنادى والهيئة التى جاء عليها لها مدخل عظيم فى ابراز كثير من الاطائف البلاغية والأسرار الجمالية المتعلقة بصياغة

---

(١٦) أنظر الفتوحات الالهية على تفسير الجلالين للجمل ١/٢٧ ــ ٢٨ •
(١٧) انظر البرهان للزركشى ٢/٢١٧ •

هذا الأسلوب ونحن نختار أحسن المسميات للأنسان وبذلك أمر الدين ونضع أدق المسميات على الأشياء حتى نعرب عنهـــا ونبرز للنـــاظر فوائدها وهذا هو الهدف من وضع الأسماء التمييز والايضاح غالبا •

وأحيانا يكون الغرض من اطلاق الأسماء على المسميات تقييـــد مطلقها وتخصيص ما كان عاما منها •

وتارة تلمح دلالة الوصـــفية فى الاسم فتلتمس العال والأسباب لاختيار اسم فى موضعه دون سواه لاسيما اذا كان له عدة أســـــماء اختير أحدها فيقال حينئذ لماذا فضل هذا على ذاك ؟

كما أنه ليس كل منادى هو المراد بالأقبال والتنفيـــــذ واكن قد يذكر ليدل على غيره وليكون مثلا لسواه •

أمثلة من أنواع النداءات القرآنية

أ ــ [نداء « الأنسان » ، ونداء « الناس »]

١ ــ نداء الأنسان : جاء فى قوله تعالى : « يأيها الأنسان ماغرك بربك الكريم » الانفطار ــ ٦ •• وهو من خطاب العام المراد به العموم• أى : فليس المراد به فريق خاص من بنى آدم ، وبهذا قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما تلاها : غره جهله والمعنى « أى شىء خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى التامة والعراقيل الطامة ، وما سيكون حينئذ من مشاهدة أعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للأيذان بأنه ليس مما يصلح أن يكـــــون مـــدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان » (١٨) •

---

(١٨) أبو السعود ٩/١٢٩ •

ويلاحظ أن جملة النداء وليها الجملة الاستفهامية « ما غـــرك بربك الكريم » وهى تقرر وتوضح كرم الربوبية ، وفى ذلك لفت وإثارة أى : ما يليق بالأنسان أن يخدعه الشيطان وهو ينعم بكرم ربه • قال الزمخشرى : « معناه أن حق الانسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه ـ حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنـه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ـ أن يتفضل عليـه بالثـواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الأول فانها منكر خـارج عن حـد الحكمة » •

وجملة الاستفهام تئول الى معنى ، لا تغتر بربك الكريم ولكنهـا تضيف فوق ذلك بصيغتها اسـتحالة ذلك واسـتبعاده أى ما ينبغى ولا يليق وفيها أيضا توبيخ وعتاب وتقبيح لمن هذا شأنه ، لقد استحضر الأنسان وأوقف بندائه ووجه اليه النهى فى صورة استفهام عتـابا وتبكيتا حتى ينأى ويبعد عن هذا الخلق خلق التنكر للجميل فى أسلوب هادىء لا تلمس فيه جفوة ولا تحس منه طردا وابعادا •

فالنداء للانسان الانسان كله والاستمالة مطلوبة رحمة به وشفقة عليه وحذرا وحدبا • فالذى يناديه هو الذى سواه وخلقه وعدله فى أكرم صورة وأحسن هيئة « الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » أضف الى ذلك ما فى لفظ (انسان) معرفا بالألف واللام الجنسية التى تفيد الكمال فى الصفة • أى : يا من كملت فيه تلك الصـفة : (الأنسانية) فتحقق أصله وعرف ذاته • ومادة (أنس) تدل علـى الألف ضد النفور ولذلك يقال لمن كثر أنسه واكل ما يؤنس به انسى • والأنسى قيل : سمى بذلك ، لأنه خلق خلقة لا قوام له الا بانس بعضهم ببعض ولهذا قيل ، الانسان مدنى بالطبع • وقيـل سمى بذلك لأنه

يأنس بكل ما يألفه ، وقيل : هو افعلان وأصله انسيان سمي بذلك لأنه عهد اليه فنسى » (١٩) ونسب صاحب اللسان ذلك لابن عباس •

وأشعر أن لفظ (الأنسان) غير لفظ (الناس) فلفظ الأنسان عند ما يطلق يستحضر العقل منه ما به يكون الأنسان انسانا وهو كثير : أخص ذلك أنه حى يعقل فمعنى الانسانية فى الأنسان لا يحد بحدود ولهذا تتحرك فى المرء تلك الصفة اذا دعى الى خير أو نهى عن شر ، واذا دعى الى أمر يقتضى الرحمة والشفقة والكياسة والرقة ، وكثيرا ما نخلع تلك الصفة عن أجلاف القوم والأعراب الجفاة والقساة الغلاظ فنقول : نزعت منهم الانسانية •

وقد ورد نداء الأنسان بهذا اللفظ فى سورة الانشقاق آية ــ ٦ فقال تعالى : « يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » وهاتان هما الآيتان اللتان نودى فيهما الخلق بلفظ (الأنسان) •

وأشعر أنهما تقتربان فى أن المطلوب من الأنسان فيهما أن يعلم أنه ملاق ربه فعليه أن لا يغتر بكرمه فيعمل ليوم الدين • كما ترشد الى ذلك آية الانفطار •

كذلك آية الانشقاق تلتقى مع أختها فى ضرورة أن يعمل الأنسان فى سعيه خيرا فهو لا محالة ملاق ربه • والمعنى انك جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الأحوال التى مثلت باللقاء مبالغ فى ذلك فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جاده اذا خدشه • قال تعالى « لقد خلقنا الأنسان فى كبد » أى فى شدة الأمر وصعوبة الخطب • والكبد أصله من قولك : كبد الرجل كبدا فهو أكبد اذا وجعت يده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقه

---

(١٩) المفردات للراغب/أنس •

ومنه اشتقت المكابدة . « وقيل : (فى كبد) منتصبا فى بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيما واختار الطبرى : أن المراد بذلك مكابده الأمور ومشاقها (٢٠) » وهو الذى اليه نميل .

كما أن فى كلتا السورتين تمهيدا ببعض مشاهد الانقلاب الكونية، لخطاب الأنسان ، والقاء الخشوع فى قلبه ، وتذكيره بأمره وبمصيره الذى هو صائر اليه عنده حتى ينطبع فى حسه ظل الطاعة والخشوع والأستسلام الذى تلقيه فى حسه السماء والأرض فى المشهد الهائل الجليل .

« فى ظل هذا الجو الموقظ المنبه للحواس والمشاعر والعقول والضمائر يلتفت الى واقع الانسان الحاضر فاذا هو غافل لاه سادر هنا يلمس قلبه لمسة فيها عتاب رضى وفيها وعيد خفى وفيها تذكير بنعمة الله الأولى عليه نعمة خلقه فى هذه الصورة السوية » (٢٠) هذا فى سورة الانفطار والانشقاق معا .

غير أن سورة الانشقاق : كما يقول صاحب الظلال ، ترى فيها جو المقدمة المهدة لخطاب الأنسان أهدأ فهو جو انقياد السماء والأرض واستسلامهما فى اذعان وخضوع واعتراف بأن هذا حق عليهما .

وكأنى بالخطاب عندما يواجه به الانسان هنا ويذكره بكدحه وجده وملاقاته ربه يقول له فاختر لنفسك ما يريحك عند الله فأنت انسان اختصك الله بميزة التفضيل بين الجيد والقبيح والحسن والمرذول والشر والخير . لقد استثيرت أحدى معانى الانسانية فى

---

(٢٠) تفسير ابن كثير ٥١٢/٤ .

(٢١) الظلال ١٦ .

الانسان وهى القدرة على التمييز ، والترجيح بين البدائل فعليه أن يستغلها أحسن استغلال لذا قال « انك كادح الى ربك » وألمح ان الخطاب فى سورة الانفطار للانسان ومناداته بوصفه انسانا يثير هو الآخر معنى من معانى الانسانية ذلكم هو القدرة على التذكروالاستعادة والاعتراف بالجميل لذا قال « ما غرك بربك الكريم » أى : أى شىء خدعك وجرأك على عصيانه تعالى وارتكاب ما لا يليق بشأنه عز شأنه وقد علمت ما بين يديك وما سيظهر من أعمالك عليك •

قال الألوسى : « والتعرض لعنوان كرمه تعالى دون قهره ـ سبحانه ـ من صفات الجلال المانعة ملاحظتها عن الاغترار للأيذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له : افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة » •

أخلص من ذلك الى أن الأنسان عندما ينادى فى القرآن فهو وان كان عاما الا أن ملاحظة معنى الأنسانية مراد ومطلوب ، بخلاف (الناس) فان ملاحظة الجنس هى المطلوبة أولا وبالذات ، ومع هذا فلفظ الناس « قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزا وذلك اذا اعتبر معنى الانسانية وهو وجود الفضل والذكر وسائر الأخلاق الحميدة والمعانى المختصة به ، فان كل شىء عدم فعله المختص به لا يكاد يستحق اسمه كاليد فانها اذا عدمت فعلها الخاص بها فاطلاق اليد عليها كاطلاقها على يد السرير ورجله • فقوله « آمنوا كما آمن الناس » أى كما يفعل من وجد فيه معنى الأنسانية ولم يقصد بالأنسان عينا واحدا ، بل قصد المعنى وكذا قوله «أم يحسدون الناس» أى من وجد فيه معنى الانسانية أى انسان كان ، وربما قصد به النوع كما هو وعلى هذا قوله « أم يحسدون الناس » (٢٢) •

---

(٢٢) المفردات (نوس) •

نـــداء (النـــاس)

وقد كثر فى القرآن الكريم نداء (الناس) وذلك مرجعـــه الى أمور منها :

أن تكاليف الشرع عامة والكل مطالب بها ولفظ (النـــاس) من الألفاظ الجامعة فاذا اريد خطاب الجنس كان هذا اللفظ صـــاحب الدلالة على ذلك أى على جماعة الأنسان • « وحكى بعضهم أنه يقال : ناس من الجن وحمل عليه قوله فى سورة «الناس» : « من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » فهو يجعل من الجنة والناس بيانا (٢٣) •

كذلك خفة هذا الافظ مع عدم احتياجه الى صلة توضحه أو صفة تميزه فاذا أريد نوع منه كانت هناك لاقرنية الدالة على ذلك كقـــوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفســـدت الأرض » البقرة ــ ٢٥ •

« فقد يراد بالناس الكاملون فى الانسانية ، وقد يراد بهم قوم معينون بقرينة السياق وقد يراد فرد معين وصح ذلك لأرادة الجنس كما يقال : فلان يركب الخيل وهو انما يركب فرسا » (٢٤) فاما كانت فيه تلك الطواعية فى الدلالة كان أنسب بالنداء وأجرى على الألسنة وأعذب فى الأسماع •

كذلك لوحظ أن كل آية فيها « يأيها الناس » لأهل مكة وحكمة ذلك

---

(٢٣) معجم الفاظ القرآن الكريم (نوس) •

(٢٤) نفس المرجع السابق •

٢٥٤/٢ ، ٢٥٥

أنه يأتى بعد « يأيها الناس » الأمر بأصل الأيمان • ولكن هذه الملاحظة لا تسلم ، لأن الأمر بأصل الأيمان مطالب به أهل مكة وغيرهم •

كذلك قد يراد بـ (الناس) الكاملون فى الأنسانية ، وأيضا فبعض السورة التى ورد فيها هذا النداء مدنية كالبقرة ، والنساء والحجرات والحج • وبذلك رد القرطبى مستدلا بالبقرة والنساء • جاء فى الكشاف: « وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة أن كل شىء نزل فيه « يأيها الناس » فهو مكى و « يأيها الذين آمنوا » فهو مدنى، فقوله « يأيها الناس اعبدوا ربكم » خطاب لمشركى مكة •

قال البهلوان فى حاشيته على الكشاف (٢٥) : « والحاصل أن سورة البقرة مدنية فالظاهر أن الآية مدنية فلما كانت مدنية فذكرها عقيب الآية المذكورة المشتملة على الفرق الثلاث يدل ظاهره على أن الخطاب لهم جميعا على سبيل الالتفات فيكون أمر المؤمنين بالعبادة راجعا الى أمرهم بالثبات عليها ، وأمر الكافرين بها راجعا الى الأمر باحداثها وأمر المنافقين بها راجعا الى أمرهم بالأخلاص فيها • لكن ما روى عن « ابراهيم » يدل على أنها مكية فاذن الخطاب لمشركى مكة خاصة حملا لقوله « اعبدوا » على ما هو المتبادر منه الى الفهم من الأمر باحداث العبادة فسقط ما قال القطب الرازى من أن هذا التفريع يعنى قوله فقوله « يأيها الناس اعبدوا ربكم » خطاب لمشركى مكة بل انما ينتظم التفريع لو لم يكن فى مكة الا المشركون وليس كذلك بل كان فيها مؤمنون ومنافقون أيضا » •

وما ذكره ابن جرير الطبرى فى الآية يؤيد أنه كان بمكة منافقون

---

(٢٥) البرهان للزركشى ٢/٢٢٩ •

وأن الخطاب ليس للمشركين خاصة • قال « فأمر جل ثناؤه الفريقين اللذين أخبر الله عن أحدهما أنه سواء عليهم أنذروا أم لم ينذروا أنهم لا يؤمنون لطبعه على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم ، وعن الآخر أنه يخادع الله والذين آمنوا بما يبدى بلسانه من قيله آمنا بالله وباليوم الآخر مع استيطانه خلاف ذلك ومرض قلبه وشكه فى حقيقة ما يبدى من ذلك ، وغيرهم من سائر خلقه المكلفين — بالاستكانة والخضوع له بالطاعة وافراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة ••• عن ابن عباس قال : قال الله « يأيها الناس اعبدوا ربكم » للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين » (٢٦) •

وفى قول ابن جرير « وغيرهم من سائر خلقه المكلفين » ما يدل أيضا على أن الخطاب ليس لمشركى مكة خاصة • وانما هو عام للناس كافة وهو الراجح « يقول الله تعالى لجميع عباده ما معناه اعبدونى ملاحظين معنى الربوبية والمساواة فى المواهب الخلقية التى تؤهلكم للسعادة الحقيقية » (٢٧) •

والحاصل فى نداء سورة البقرة « يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » البقرة — ٢ •

أنه ذكر « بعد أن عدد الله فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم فكان اقبالا بالخطاب عليهم على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما اشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة » •

---

(٢٦) تفسير الطبرى ١/١٢٤ — ١٢٥ •
(٢٧) تفسير المنار ١/١٥٥ •

ولقد جاء هذا النداء الأول فى هذه السورة يحمل عناصر التأكيد التى تميز النداء القرآنى عما عداه • ذلك •

أن «يا» حرف وضع فى أصله لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد : اما لعظمته كقول الداعى فى جؤاره : يا رب ويا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد•أو لغفلته وسوء فهمه ، أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه •

وهذه بعض الأحوال التى تقتضى نداء القريب بلفظ « يا » الموضوع للبعيد وهى ولا شك كثيرة •

حرف النداء « يا » والمنادى جملة واحدة مفيدة لأنه نائب مناب فعل كما ذكر سابقا و « أى » جعل وصلة الى نداء ما فيه الألف واللام فان ادخال «يا» عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفى تعريف فانهما كمثلين• وأعطى حكم المنادى وأجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له وأقحمت بينهما هاء التنبيه لتأكيد ، وذلك لأهمية ما نادى الله له عباده وعظمته •

فكل ما يرد بعد نداء الناس بـ «يأيها الناس» يكون مرتبطا بايقاظ الغفلة وتنبيه الادراك وصحوة التأمل وذلك أمر يعرض لكل الناس وكل الناس مطالب باقصائه عنه •

قال البيضاوى مدللا على أن الخطاب عام فى هذا النداء (٢٨) :

---

(٢٨) تفسير البيضاوى /١٧ •

« والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » .

واستدلال الصحابة بعمومها شائعا وذائعا فـ « الناس » يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل .

وما روى عن علقمة والحسن أن كل شيء نزل فيه «يأيها الناس» فمكى و « يأيها الذين آمنوا » فمدنى ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فان المأمور به هو القدر المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها ، فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة أو الاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به ، وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة ، بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه . (والمطلوب) من المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال : «ربكم» تنبيها على أن الموجب للعبادة هي الربوبية » .

ولقد ورد نداء «الناس» فى القرآن الكريم أربع عشرة مرة (٢٩) جاء بعد النداء فيها الأمر بالتقوى فى السور الكريمة : النساء ـ ١ والحج ـ ١ ولقمان ٣٣ والأمر بذكر النعمة فى الآية ـ ٣ فاطر ، والأمر بالأكل الحلال الطيب البقرة ـ ١٦٨ . والظاهر أنه وان كان الأمر والنهى بعد النداء هو الكثير الغالب . فى اللغة والقرآن الكريم .

الا أنه مع ذلك نرى مجيء الجمل الخبرية بعد النداء أيضا • وفى هذا النمط الذى معنا نداء «الناس» ترى الآيات الكريمة من هـــذه السـورة :

الحجرات : ١٣ وفاطر : ١٥ والحج : ٥ ، ٧٣ والنساء : ١٦٩، ١٧٤ ويونس : ٥٧ •

وتتبع هذه النداءات يكشف عن أسرار عظيمة يضيق مجال هـذا البحث عنها وسنعاود الحديث اليها فى دراسة مفصلة ان أذن الله ووفق وذلك يستدعى الوقوف عند لفظ «الناس» عموما فى القرآن الكريم وقد ورد فى الكتاب العزيز أربعين ومائتى مرة (٣٠) •

وقد يطلق لفظ «الناس» وعمومه يقتضى دخول جميع النـاس والمراد بعضهم ومثلوا لذلك بقوله تعالى : « واذا قيل لهم آمنـوا كما آمن الناس » البقرة : ١٣

قالوا : المراد بالناس هنا عبد الله بن سلام ، أو سيدنا رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه •

وقوله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم » سورة النساء : ١ ، والحج : ١ عام والمراد الخصوص ، فانه لم يدخل فى الأمر الأطفـال والمجـانين •

وعليه فالنداء موجه الى الجنس فى أول سورة النسـاء ، وأول سـورة الحـج فـان المـراد جنس النـاس لا كـل فـرد فمن البين أن غير المكلفين لم يدخلوا تحت هذا الخطاب • وهذا يغلب

---

(٢٩) المعجم المفرس لآيات القرآن الكريم لمنير الدمشقى حرف الياء •
(٣٠) معجم الفاظ القرآن الكريم (نوس) •

فى خطاب أهل مكة كما سبق ورجح الأصليون دخول النبى ــ صلى الله عليه وسلم فى الخطاب بـــ « يأيها الناس » (٣١) •

وفى بدء «النساء» و «الحج» بنداء «الناس» قال الزركشى : «وفى القرآن الكريم سورتان : أولهما : « يأيها الناس » احداهما فى النصف الأول وهى السورة الرابعة منه ، وهى سورة النساء ، والثانيـــة فى النصف الثانى منه ، وهى سورة الحج •

والأولى تشتمل على شرح المبدأ والثانية تشتمل على شرح المعاد فتأمل هذا الترتيب ما أوقعه فى البلاغة » •

وبالتأمل الذى طالبنا به الزركشى نجد أن : القشيرى يقول عند تفسير قوله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم أن زلزلة الســاعة شىء عظيم » الحج : ١ •

« يأيها الناس » نداء علامة ، و «يأيها الذين آمنوا» نداء كرامة وبكل واحد من القسمين يفتتح الحق خطابه وذلك لانقسام خطابه الى صفة التحذير مرة وصفة التبصير أخرى (٣٢) •

فالشأن فى الخطاب بأمر مهم لم يسبق للمخاطب به خطاب من نوعه أن يستأنس له قبل القاء المقصود ، وأن يتهيأ لتلقيه ، وأن يشوق الى سماع ذلك وتراض نفسه على الاهتمام بالعمل ليســـتعد المتلقى بالتخلى عن كل ما شأنه أن يكون عائقا عن الانتفاع بالهدى عن عناد ومكابرة • أخرج البيهقى وأبو عبيد وغيرهما عن ابن مسعود قال : اذا

---

(٣١) البرهان ١/٢٢٦ ــ ٢٢٧ •
(٣٢) لطائف الأشارات ٤/٢٠٠ •

سمعت الله يقول : يأيها الذين آمنوا فارعها سمعك فانه خير يؤمر به أو شر ينهى عنه .

ولاخير ولا أمر هام الا وفوقه الأمر بتقوى الله فالتقوى عماد كل خير لصلاح الدنيا وهذا ما يذكر به نداء الناس أول سورة النساء ، ولصلاح الآخرة كما يذكر به أول سورة الحج .

ان الخطاب للناس بصفتهم هذه من حيث كونهم يرجعون الى رب واحد وخالق واحد وأصل واحد لتعميق أمر التقوى وتذكير الناس بمصدرهم الذى صدروا عنه والمراد بالناس بنى آدم أو الذين بعث اليهم رسول الله والراجح الأول .

قال ابن كثير : يقول الله تعالى آمرا خلقه بتقواه وهى عبادته وحده لا شريك له ومنبها لهم على قدرته التى خلقهم بها من نفس واحدة وهى ادم عليه السلام وخلق منها زوجها وهى حواء عليها السلام .

ففى النداء وهذا الخطاب تنبيه على القدرة التى هذا صنعها وهو لكل الخلق « فيعم نداء الناس جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم فى سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق التغليب الفريق الأول على الأخيرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجى فان الاجماع منعقد على أن آخر الأمة مكلف بما كلف به أولها كما ينبىء عنه عليه السلام « الحلال ما جرى على لسانى الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لسانى الى يوم القيامة » (٣٣) .

---

(٣٣) تفسير أبو السعود ١٣٧/٢ .

واذا كان المأمور به التقوى وهى أمر عظيم يستدعى التنبيه له بالنداء للناس كافة فان التعرض لعنوان الربوبية فى هذين الموضعين « ينبىء عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريق الترغيب والترهيب•وينبىء وصف الرب بقوله تعالى « الذى خلقكم من نفس واحدة » عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التى من جملتها عقابهم على معاصيهم ، وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من أقوى الدواعى الى الاتقاء من موجبات نقمته وأتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة هى نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الأخوة » (٣٤) •

ونظرا لمدى أهمية الأمر بالتقوى كرره مضافا الى الله الذى يتساءلون به والأرحام ، وتعليق الاتقاء هنا بالاسم الجليل « الله » لمزيد التأكيد والمبالغة فى الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا يغيره من أسمائه تعالى وصفاته •

ان ذلك الموطن من مواطن النداء أحد مواطن براعة الاستهلال وذلك يظهر من الموضوعات التى تعالجها السورة والشرائع والأحكام التى تقررها ومقارنة ذلك بمدلول الآية الأولى •

وفى مطلع سورة الحج ءال الحق سبحانه الأمر بالتقوى وجعل موجبه قوله « ان زلزلة الساعة شىء عظيم » كما جعل موجب الأمر بالتقوى فى سورة النساء « ان الله كان عليكم رقيبا » •

ذلك أن ملاحظة عظم الساعة وهولها وفظاعة ما بعدها من الأهوال

---

(٣٤) تفسير أبو السعود ١٣٧/٢ •

والأهوال التى لا منجى منها الا بالتدرع بلباس التقوى ممـا يوجب مزيد الاعتناء بالأمر وملازمته • كما أن ملاحظة وصف الله بالاطلاع والمراقبة مما يوجب الحذر من الوقوع فى المعصية •

(نداء الرسـول والنبى) :

فى القرآن الكريم وجه النداء للرسل جمعا ، وللرسول مفردا ، وللنبى ، فجاء قوله تعالى « يأيها الرسل كلوا من الطيبـات واعملوا صالحا » المؤمنون : ٥١ •

وقوله تعالى « يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر» المـائدة : ٤١ •

وقوله تعالى « يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك » التحريم : ١

والخطاب بوصف النبوة أكثر ورودا فى القرآن الـكريم وللفظ النبى معنى غير لفظ الرسول وايحاء فى التعبير يخالفه •

لذلك فمراعات أمثال هذه اللطائف وابراز تلك المسحات الجمالية مما له وشيجة بعلم البلاغة • من جهة ايحاء اللفظ فى جملته ومعناه فى سـيـاقه ومقـامه •

ولقد بدئت سورة الأحزاب بقوله تعالى « يأيهـا النبى » وكذا سورة « الطلاق » وسورة « التحريم » •

وتخصيص النداء بلفظ النبى قيل فيه انه يـكون فى أمر التشريع الخاص أما النداء بلفظ الرسول فيكون فى أمور التشريع العامة •

وأشعر أيضا أن التنصيص على «الرسول» يكون فى مقـامات كثيرة قد يكون على رأسها الرد على من ينكر كون الرسول مرسلا بشرع من الله • فيجىء خطابه ونداؤه بذلك رغما لهذه المعاطس التى جحدت•

ويجيء أيضا فى مقامات الابلاغ والأمر بتوصيل أمانة السماء الى من أرسل اليهم ، ويأتى أيضا فى مقامات تحديد المكانة وبيان المنزلة .

وهذا نظر عاجل والحكم فى هذه الأمور يستدعى روية أكثر وامعانا فى التقصى لهذه الظواهر فى الكتاب الكريم ليس هذا المكان لذلك ونطمع أن يكون لنا وقفة مع كل نداء ان شاء الله .

كذلك مما نودى به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ «المزمل» و «المدثر» ورد ذلك فى مفتتح السورتين الكريمتين سورة « المزمل » وسورة « المدثر » .

« يأيها المزمل قم الايل الا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا » ٢ ، ٢ : المزمل .

« يأيها المدثر ، قم فانذر » ٢،٢ : المدثر .

ونداؤه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذلك يشعر بمعنى فى تلك الوصفية .

نداؤه « بالمزمل ــ والمدثر »

لقد قال أهل العلم ان المزمل معناه المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها .

قيل : خوطب به النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان ــ عليه الصلاة والسلام ــ متلففا بقطيفة

مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن فأمر بأن يترك التزمل الى التشمر للعبادة .

قال الراغب : وذلك على سبيل الاستعارة كنـــــاية عن المقصر والمتهاون بالأمر وتعريضا به .

وقيل : لمـا جاء ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد ما أتاه جبريل أول أمره ، قال لزوجته خديجة زملوني زملوني فبينما هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال « يأيها المزمل » فيكون تخصيص وصف التـزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما فى قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ لعلى حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التواب « قم يا أبا تراب » ملاطفة واشعارا بأنه غير عاتب عليه .

وقيل : المعنى يأيها الذى زمل أمرا عظيما هـــو أمر النبوة أى حمله ، وازمل الحمل فالتعرض للوصف حينئذ للأشعار بعليته القيام أو للأمر به فان تحميله ــ عليه الصلاة والسلام ــ لأعباء النبوة ممـا يوجب الاجتهاد فى العبادة (٣٥) .

ولا أرتاح الى القول الأول ولذا آثرت نقل عبارة «أبو السعود» فيه دون عبارة الزمخشرى . ذلك ، لأن رسـول الله فى أول أمر وحى السماء اليه فلم يكن الأمر بحاجة الى تهجين ما كان عليه خصـــوصا ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ألف التحنث الليالى ذوات العدد قبل أن يأتيه الوحى ، لكن أمر الوحى شديد وخطره عظيم ولقـد أدت به هذه الشدة وعظيم الخطر أن يرجع يرجف فؤاده وترعد فرائصه قائلا : زملونى زملونى ، فعندما ينادى وهو على تلك الحالة من الارهاق

---

(٣٥) تفسير أبو السعود ٩/٤٩ وهذه الأقوال كلها ذكرها الزمخشرى فى كشافه .

والخوف والذهاب كل مذهب فى مستقبل هذا الذى حصل فلا يخطر بالبال الا أنه فى حاجة الى أنس ولطف ورقة تستدعى تهدئة خواطره وسكون جوارحه وهدوء نفسه وارتياح قلبه فيعود بذلك اليه نشاطه، ويقوى على تحمل أعباء الرسالة •

أما التبكيت والتهجين فلا يكون الا لمن استمرأ الكسل وألف الدعة وركن الى السكون والراحة ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمنأى عن ذلك قبل البعثة وبعدها ذلك له أوجب •

ثم ألا ترى معى أن التأنيس والملاطفة عموما وفى النداء خصوصا لون من التنبيه الى أهمية ما يلقى حتى تستعد النفس له • ان الناس يصنعون الأناشيد الحماسية ويلقونها القاء جماعيا تحميسا على انجاز الشاق من الأعمال وكذلك فى الأسلوب اللطيف طاقة تبعث الدفء والحنان فيمن يخاطب فينطلق راغبا مجاهدا عاملا •

لم يرتض الألوسى أيضا ما قاله الزمخشرى أولا كما لم يرتضه فقال :

« وندأوه عليه الصلاة والسلام بذلك تأنيس له وملاطفة على عادة العرب فى اشتقاق اسم للمخاطب من صفته التى هو عليها • فاستشهد أيضا بقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لسيدنا على: « قم يا أبا تراب » •

والغرض من ذلك « رفع الحجاب وطى بساط العتاب وتنشيطا له ليتلقى ما يرد عليه بلا كسل وكل ما يفعل المحبوب محبوب » •

وقال صاحب الكشف : أراد أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ وصف بما هو ملتبس به يذكره تقاعده فهو من لطيف العتاب الممزوج

بمعنى الرأفة ولينشطه ويجعله مستعدا لما وعده تعالى بقوله سبحانه « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » •

ولا يربأ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مثل هذا النداء فقد خوطب بما هو أشد فى قوله تعالى « عبس وتولى » ومثل هذا من خطاب الادلال والترؤف لا يتقاعد ما فى ضمته من البر والتقريب عما فى ضمن « يأيها النبى ، يأيها الرسول » من التعظيم والترحيب ٣٦ •

وأرى أن صاحب الكشف فى قوله « فهو من لطيف العتاب » تأسره عبارة الزمخشرى الى حد ما أما قياسه على العتاب فى قوله تعالى « عبس وتولى » فثمه فارق بين الأمرين يرشد اليه سبب النزول فى آية « عبس وتولى » •

فآية «عبس» من لطيف العتاب وآية المزمل من الاطف والايناس• ولا مجال للعتاب وانما هو نداء الأحباب •

« ويقال : يأيها الذى يخفى ما خصصناه به قم فأنذر فانا نصرناك » (٣٧) •

ويقال : قم يا من جعانا الليل ليسكن فيه كل الناس قم أنتفليسكن الكل ولتقم أنت (٣٧) •

أما « المدثر » :

فهو لابس الدثار والدثار هو ما فوق الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « الأنصار شعار

---

(٣٦) روح المعانى ٢٩/١٠٠ ـ ١٠١ •
(٣٧) لطائف الاشارات للقشيرى ٦/٢١٠ •

والناس دثار « وهذا مجاز لأنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ أراد أنكم أقرب الناس منى وأشدهم اشتمالا على فأنتم لى كالشعار وهو الثوب الذى يلى بدن الانسان والناس الدثار لأنهم أبعد منى وأنتم بينهم وبينى ومثل ذلك قولهم : فلان من بطانة فلان كناية عن القرب منه والاختصاص به تشبيها ببطانة الثوب التى تلى الجسد وتكون أقرب الى البدن » (٣٨) •

ولا يخفى أن الحديث من باب التشبيه وغالبا ما يطلق الشريف الرضى كلمة مجاز على التشبيه الخالى من الوجه والأداة ، والتعبير كله كناية عن القرب •

قيل هى أول سورة نزلت • وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « كنت على جبل حراء فنوديت : يامحمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيئا فنظرت فوقى فرأيت شيئا • وفى رواية عائشة : فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت : « دثرونى دثرونى » فنزل جبريل وقال « يأيها المدثر » •

وسواء كان سبب تدثره ــ صلى الله عليه وسلم ــ رعبه من الملك ، أم حزنه واغتمامه لما سمع من قريش ما كرهه أم سبب آخر ، فان النداء بهذا الوصف كالنداء بوصفه متزملا فى سورة المزمل • أما المقصود هنا فهو الانذار وما يتلوه ، وهناك هو قيام الليل منه فهو أمر خاص به • بخلاف الانذار فهو تبليغ عام للناس •

قال الألوسى : وهى ــ أى سورة المدثر ــ متواخية مع السورة قبلها فى الافتتاح بنداء النبى صلى الله عليه وسلم ــ وصدر كليهما نازل

---

(٣٨) المجازات النبوية للشريف الرضى /٤٢ •

على المشهور فى قصة واحـــدة وبدئت تلك بالأمر بقيـام الليـــل وهو عبادة خاصة ، وهذه بالأمر بالانذار وفيه من تكميل الغير ما فيه .

قال : وفى هذا الأمر بعد النداء اشارة عند بعض السـادة الى مقام الجلوة ، بعد الخلوة ، وقال «فانذر» ولم يقل هنا : وبشر لأنه كان فى ابتداء النبوة والانذار هو الغالب اذ ذاك ، أو هو اكتفاء لأن الانذار يازمه التبشير » .

قيل : أيها الطالب صرف الأذى عنك بالدثار اطلبه بالانذار (٣٩) .

ذكر القشيرى ذلك ولعل أصله ما قيـــل : « ان الظاهر أن يراد بالمدثر وكذا بالمزمل الكناية عن المستريح الفارغ ، لأنه فى أول البعثة فكينه قيل له ــ عليه الصلاة والسلام ــ : قد مضى زمن الراحة وجاءتك المتاعب من التكاليف وهداية الناس (٤٠) .

والوصفان المنادى بهما حضرة المصطفى ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ يصوران فى دقة حالة هو عليها وكأنهما علمان عليه ومع ذلك لم يعذره الوحى بل حضه على الهبوب من المضجع والتشمير للدعـوة والجد فى أداء الوظيفة التى اختارته لها العناية الأزلية ، فهو انتداب بواسطة النداء نداء النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كى ينهض لهـذا الأمر الجليل وانتزاع له من النوم والتدثر والدفء الى الجهاد والكفاح والمشقة مع توجيهه ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى التهيؤ لهـذا الأمر العظيم والاستعانة عليه بهذا الذى وجهه الله اليه « وربك فـكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصـبر » وكان ختام التوجيه هنا بالصبر كما كان هناك فى سورة المزمل ، فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا » .

---

(٣٩) لطائف الاشارات ٦/٢١٥ .

(٤٠) روح المعانى ٢٩/١١٦ .

« نداء الرسول والنبى » :

الخطاب بالنداء فى قوله تعالى « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » المائدة : ٦٧ •

من خطاب الخاص والمراد به الخصوص (٤) • فهو المأمور بالتبليغ وهو دوره وواجبه والخطاب بوصف الرسالة والنبوة فيه مدح وتكريم ولم يقع فى القرآن الكريم النداء بـ « يا محمد » كما نودى يا آدم ، يا نوح ، يا ابراهيم ، يا موسى يا عيسى •

بل نودى — صلوات الله وسلامه عليه — وعلى الأنبياء أجمعين بـ « يأيها النبى » ، « يأيها الرسول » تعظيما له وتبجيلا وتخصيصا له بذلك عمن سواه •

وتميل نفسى الى أن الخطاب بوصفه رسولا أسبق منه بوصفه نبيا ذلك أن من الكلمات الأولى التى سمعها من الملك كلمة « رسول » جاء فى حديث « بدء الوحى »

« وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤوس شواهق الجبال عندما أوفى ذروة جبل لكى يلقى بنفسه منه تبدى له جبريل فقال: يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك » (٤٢) •

زد على ذلك أن كلمة «رسول» أدل على أن صاحبها مرسل من قبل الله من كلمة نبى ولذلك عرف العاماء الرسول « بأنه انسان حر

---

(٤١) البرهان ٢/٢١٨ •

(٤٢) تفسير ابن كثير ٤/٥٢٨ •

ذكر من بنى آدم أوحى الله اليه بشرع وأمره بتكليفه ولهذا ترى هذه الكلمة هى المستعملة فى رسائل الرسول الى الملوك والقياصرة • كذلك أول ما جمع رسول الله قومه كان يقول لهم : انى رسول الله اليكم »•

كذلك كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لا يمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله » (٤٣) قال السهيلى وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة وأن يكون الله أنطقه انطاقا كما خلق الحنين فى الجذع •

كذلك جاء فى بعض روايات حديث بدء الوحى • « قال فخرجت حتى اذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسى الى السماء أنظر ، فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل » (٤٤) •

كما أنه مبشر به أنه رسول فى الكتب السابقة قال تعالى على لسان عيسى بن مريم عليه السلام « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ويرد الله على الكافرين انكارهم بعثه « ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » ويخبر عنه بأنه رسول الله « محمد رسول الله » •

ويشهد على ذلك « والله يعلم انك لرسوله » ويقصره على أمر الرسالة « وما محمد الا رسول » « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » •

انه فى مجال التحدى يبرز الوصف بالرسالة والخطاب بها فهو

---

(٤٣) السيرة لابن هشام ١/٢٣٤ •
(٤٤) السيرة لابن هشام ١/٢٣٦ •

مناط الانكار ممن لم يؤمنوا لذا كان التأكيد عليـــه ضروريا وابراز حقيقته متعالما مشهورا •

وأصل مادة « رسل » •

الانبعاث على التؤدة ، وتصور منه تارة الرفق فقيل : على رسلك اذا أمرته بالرفق ، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول ، والارسال يقال فى الانسان وفى الأشياء المحبوبة والمكروهة ، وأكثر ما ورد منه فى القرآن بمعنى بعث عاقل برسالة فى أمر دينى ، وجمع الرسول رسل ورسل الله تارة يراد بها الملائكة وتارة يراد بها الأنبيـاء فمن الملائكة قوله تعالى « انه لقول رسول كريم » ومن الأنبياء قوله « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » وكمـا أن « أرســل » يأتى لمجـرد البعث والتخلية والاطلاق فهو يأتى للبعث مع التسخير وذلك فى غـير العاقل ليؤدى عملا •

أما النبى فمشتق من النبوة أى الرفعة وذلك لرفعـة محله عن سائر الناس والنبوة والنباوة الارتفاع قال تعالى عن سيدنا ادريس « ورفعناه مكانا عليا » واما أن يكون أصله الهمز فترك همزه فهو من الأنبـاء •

قال الراغب : النبى بغير الهمز أبلغ من النبىء بالهمز لأنه ليس كل منبأ رفيع القدر والمحل ولذلك قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ لمن قال : يا نبىء الله فقال « لست بنبىء الله ولكن نبى الله » لمـا رأى أن الرجل خاطبه بالهمز لبغض منه •

الخطاب بالرسول والنبى :

هو خطاب مدح وتبجيل لكن لوحظ أن كلا منهما يأتى فى محـل لا يأتى فيه الآخر من ذلك •

ان نداء «الرسول» يأتى فى مقام التشريع العام ، أما فى مقام التشريع الخاص فيأتى الخطاب «النبى» من ذلك •

قوله سبحانه : « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » المائدة : ٦٧ •

النداء موجه الى رسول الله بتكليفه ما أنزل اليه من ربه فهو رسول والرسل وظيفتهم البلاغ « ما على الرسول الا البلاغ » •

ومن هذا الذى كلف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تبليغه أن يجابه أهل الكتاب بأنهم ليسوا على شىء حتى يقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم فالمقصود من النداء هو مواجهة أهل الكتاب بحقيقة ما هم عليه ، وبحقيقة صفتهم التى يستحقونها بما هم عليه ومواجهاتهم بأنهم ليسوا على شىء من الدين والعقيدة والايمان ذلك أنهم لا يقيمون التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم ومن ثم فلا شىء مما يدعونه لأنفسهم من أنهم أهل كتاب وأصحاب عقيدة وأتباع دين •

هذه الأمور من خصائص الرسول الاخبار بها فما يبين ما هم عليه من عوار الا الرسول فهو صاحب شرع وكتاب فلهذا كان النداء بوصفه رسولا • فالأمر أمر تبليغ شريعة وتصد اباطل والرسل أقدر على ذلك •

« وهو نداء تشريف لأن الرسالة منة الله العظمى وكرامته الكبرى وفى هذا العنوان ايذان بما يوجب الاتيان بما أمر به ــ صلى الله عليه وسلم ــ من تبليغ ما أوحى اليه • لأن عدم تبليغ الرسالة أمر معلوم عند الناس مستقر فى الافهام أنه عظيم شنيع

ينعى على مرتكبه ألا ترى أن عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع فكيف كتمان الرسالة من الرسول » (٤٥) .

وقد ورد فى هذه السورة أيضا نداء الرسول :

« يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون أن أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » (٤١) ــ المائدة .

الآية تعزية لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فظاهرها يفيد أن ذلك أمر خاص به فلفظ النبوة بالنداء أولى ، لكن سرعان ما يزول هذا الخاطر اذا علمت أن الذى أحزن رسول الله هو أمر يتعلق بالعقيدة بل هو أمر الدين كله فلقد روى أن هذه الآيات نزلت فى قوم من اليهود ارتكبوا جرائم منها الزنا والسرقة وهى من جرائم الحدود فى التوراة ولكن القوم كانوا قد اصطلحوا على غيرها لأنهم لم يريدوا أن يطبقوها على الشرفاء فيهم فى مبدأ الأمر ثم تهاونوا فيها بالقياس الى الجميع وأحلوا محلها عقوبات أخرى من عقوبات التعزير فلما وقعت هذه الجرائم فى عهد الرسول منهم تأمروا على أن يستفتوه فيها فاذا أفتى لهم بالعقوبات التعزيرية المخففة عملوا بها وكانت هذه حجة لهم عند الله فقد أفتاهم بها رسول وان حكم فيها بمثل ما عندهم فى التوراة لم يأخذوا بحكمه فدسوا بعضهم يستفتيه .

« فالقضية اذا قضية الاقرار بألوهية الله وحده وربوبيته وقوامته على البشر أو رفض هذا الاقرار وان قبول شريعة الله والرضى بحكمها

---

(٤٥) روح المعانى ١٨٩/٦ .

هو مظهر الاقرار بألوهيته وربوبيته وقوامته ، ورفضها والتخلى عنها هو مظهر رفض هذا الاقرار » (٤٦) .

هنا أيضا خوطب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعنوان الرسالة للتشريف والأشعار بما يوجب عدم الحزن ، وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن أن يحزنوه صلى الله عليه وسام بمسارعتهم فى الكفر لكنه فى الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة ، والغرض منه مجرد التسلية على أبلغ وجه وآكده فان النهى عن أسباب الشىء ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وقطع له من أصله .

ونداء النبى أكثر :

ويكون فى مقام التشريع الخاص : كقوله تعالى « يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم » التحريم : ١ .

فان عبر بالنبى فى مقام التشريع العام كانت هناك قرينة تدل على ارادة التعميم كقوله تعالى : يأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » الطلاق : ١ .

وسورة التحريم والطلاق بدئتا بخطاب النبى وهما تعالجان أمر انطلاق وتحريم الأماء سورة الطلاق تتحدث عن خصام نساء الأمة وسورة التحريم تتحدث عن خصومة نساء النبى ، افرادا لهن بالذكر اعظاما لحقهن تعظيما لحقهن أن يذكرن مع سائر النسوة فأفردن بسورة خاصة (٤٧) .

---

(٤٦) الظلال ٦/٨٩٤ .

(٤٧) روح المعانى ٢٩/١٤٦ .

وفى ندائه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بـ « يأيها النبى » من حسن التلطف به والتنويه بشأنه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى اذ السؤال (لم تحرم ما أحل الله لك) عتاب له على ما حرم على نفسه أو أن محل العتاب هو ابتغاؤه مرضاة أزواجه فمثله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أجل من أن يطلب مرضاتهن بذلك •

ففى الخطاب بوصف النبوة اجلال لمنصبه ــ عليه الصلاة والسلام وشدة اعتناء به وتنويه بقدره وتعظيم لشأنه أن يراعى مرضاة أزواجه بأن يشق على نفسه فيحرم ما أحل الله له ، والمراد بالتحريم هنا الامتناع مما حرمه على نفسه وهو اما شرب نوع معين من العسل ، أو قربان مارية ، أو طلاق حفصة • والقرآن لم يذكر هذا الأمر ولكنه أبرز أثره اذ هو المهم •

ونداؤه أيضا فى سورة الطلاق • ليس من نوع هذا النداء اذ يختلف عنه فى أن المقام ليس مقام عتاب •

وفى تخصيص الخطاب بالنبى وعمومه لأمته هنا تشريف له واظهار لجلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلاة والسلام اياهم وتغليبه عليهم لا لأن نداءه كندائهم » (٤٨) •

ويلاحظ فى نداء النبى وخطابه بهذا الأمر وهو خاص بالمسلمين أن السياق والتعبير « يوحى بما وراءه من اثارة الاهتمام ، وتصوير الجدية فهو أمر ذو بال ينادى الله له نبيه بشخصه ليلقى اليه فيه أمره » (٤٩) والنبى امام أمته ففى ذلك اظهار لتقدمه وأنه المتكلم

---

(٤٨) تفسير أبى السعود ٨/ ٢٦٠ •
(٤٩) الظلال ــ ٦/ ٣٥٩٨ •

بلسانهم والذى يصدرون عن أمره ورأيه فكان هو وحده فى حكمهم كلهم وسادا مسد جميعهم ولهذا اختير لفظ النبى لما فيه من الدلالة على مرتبته ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

وقيل ان الخطاب كالنداء له ــ صلى الله عليه وسلم ــ الا أنه اختير ضمير الجمع أى فى قوله (طلقتم) للتعظيم ، •• وقيل انه بعدما خاطبه عليه الصلاة والسلام بالنداء صرف سبحانه الخطاب عنه لأمته تكريما له ، لما فى الطلاق من الكراهة فلم يخاطبه به تعظيما (٥٠) ولعل ذلك هو سبب تسمية هذا النوع من الخطاب بالخطاب المتلون (٥١)

نداء التحنن والاستعطاف والتحبيب :

فى نداء الأنبياء أقوامهم يظهر مدى حنوهم عليهم واستمالتهم لهم وتحبيبهم فيما يدعونهم اليه •

ونداء سيدنا ابراهيم أباه فى سورة مريم صورة واضحة فى ذلك أتم الوضوح حيث ناداه بقوله « يا أبت » (٥٢) مكررا ذلك أربع مرات واختيار لفظ الأبوة يرمز الى أحقيتها عليه وفى ذلك استعمال الأدب واللطف والمجاملة والرفق واللين والخلق الحسن ، وهذا ليحببه فى أمر الدين ويعطفه عليه •

ونداء « لقمان » ابنه بقوله « يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » ••• ١٣/لقمان •

وقد تكرر ذلك النداء مرتين بعد ذلك « يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ، يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن

---

(٥٠) روح المعانى ١٢٨/٢٩ •

(٥١) البرهان للزركشى ٢٤٦/٢ •

المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور » ١٧،١٦ • تأمل حنو الأب وعطفه ورغبته فى اسعاد ولده فهو جزء منه ولا يؤدى ذلك أفضل من التذكير بالنبوة • ما لا يؤدى حق الأب الا التذكير بالأبوة •

ولذلك فأقسى المصاعب هى التى لا يغنى فيها والـد عن ولـده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا أصعب ذلك أشده هولا مصاعب يوم القيامة •

لذلك قيل : ان التصغير فى كلمة « بنى » تصغير اشفاق ومحبـة لا تصغير تحقير •

ان ما يدعوه لقمان اليه أمور عظام تستدعى هذا الأسلوب فالأمر أمر الدين والأخلاق واذا كان ذلك كذلك فانظر هذه اللهفـة المتـاعة والأسى العميق والرغبة الجارفة فى الانقاذ من الهلاك عندما يرى الأب ابنه يموت بمرأى منه ويهلك أمام عينيه لاسيما اذا وجـد أمـل فى انقاذه » •

« ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » هود : ٤٣ •

انها البنوة « رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » •

قال أهل العلم نداؤه بالتصغير من باب التحنن والرأفة •

ومنه قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يا عباس يا عم رسول الله •

ومن نداءات التحنن والاستعطاف اللافته • قوله تعـالى عـلى لسان هارون يستعطف أخاه موسى عليهما السلام • « فأخـذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم لا تأخـذ باحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل وام ترقب قولى » ٩٤ ــ طه •

---

(٥٣) تفسير أبو السعود ٦/٣٨ •

قيل : خص الأم بالاضافة استعظاما لحقها ترقيقا لقلبه لا لما قيل : انه كان أخاه لأم فان الجمهور على أنهما كانا شقيقين (٥٣)

وفى سورة الأعراف النداء نفسه — قال تعالى « وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » ١٥٠ — الأعراف .

قيل : كان أخاه لأبيه وأمه فان صح فانما أضافه الى الأم اشارة الى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى الى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ، ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ، ولأنها هى التى قاست فيه المخاوف والشدائد فذكرها بحقها » (٥٤)

والفرق بين الآيتين أن حرف النداء (يا) موجود فى آيه (طه) محذوف فى آية الأعراف ويظهر أن الحذف هنا لضيق المقام .

نداء (الرب) سبحانه :

تلك ظاهرة شائعة فى نداءات القرآن وهى استجابة لداعى الفطرة وذوب لمشاعر الرهبة من الله والخوف فتخرج فى قطرات من الدعاء ضارعة راغبة .

ولأن الأمل فى كرم الله موصول وكبير ترى هذا النمط من النداء نداء الرب يكرر فى الموطن الواحد حتى لا يفوت المنادى على نفسه فرصة .

ولأن الداعى الخاشع على حالة من الضعف والذلة كبيرة يتمنى ألا يفصله عن ربه فاصل أو يحول بينه وبين مطلوبه حاجز حتى ولو كان حرف النداء (يا) واذلك فانه على كثرة نداء الرب فى القرآن الكريم لا يكاد يستخدم معه حرف النداء ولعل فى ذلك تعبيرا عن

---

(٥٤) الكشاف ٢/١٣٧ .

شعور الداعى بقربه من ربه والدعاء خطاب ومقام الخطاب مقـــام مشاهدة وحضور فلا تناسبه (يا) ٠

كقوله تعالى « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » البقرة ــ ٢٨٦ ٠

والآية الكريمة (وقيله يارب) ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » ٨٨ ، ٨٩ هى التى سبق فيه (الرب) بلفظ (يا) « ولعل فى ذلك ايحاء بحالة نفسية خاصة ألمت بالرســول وقد أفرغ جهده فى دعوة قومه وانذارهم فلم يزدهم ذلك الا تماديا فى كفرهم فأطبق الهم على فؤاده طلبا للنصرة وكأنما شعر بتخلى الرب عن نصرته وبعده عن أن يمد اليه يد المساعدة فأتى بحرف النداء زيادة فى الضراعة الى الله واستجلاب رضاه » (٥٥) ٠

نداء الجمادات وما لا يعقل

فى هذا اللون من النداء تصوير وتجسيد من جانب وعظة واعتبار من جانب آخر ٠ وفى ذلك تهييج الى الخير ودفع الى الطاعة أو تنفير من الشر وابعاد عن المعصية ٠

أنظر الاستسلام الكامل والانقياد لأمر الله الصادر من الســماء والأرض فالأمر كن فيكون « فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كــرها قالتا أتينا طائعين » جاء فى سورة هود تعقيبا على حادث الطوفان ٠

« وقيل يأرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض المــاء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » هود ــ ٤٤ ٠

---

(٥٥) من بلاغة القرآن / أحمد بدوى /١٦٩ ٠

نوديت الارض ثم أمرت (يا أرض ابلعى) • ثم أتبع ذلك نداء السماء وأمرها بما هو من شأنها • (ويا ســـماء أقلعى) فالأمران متصلان فهى قصة الماء فيهما • والنداء بحرف (يا) دون أى لكونهـا أكثر استعمالا وانها دالة على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهـار العظمة وابداء شأن العزة والجبروت ، وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل : (يا أرض) بالكسرة ، لأن الاضافة اليه جل شأنه تقتضى تشريفا للأرض وتكريما لها فترك امدادا للتهاون • ولم يقل : يأيتهـا الأرض مع كثرته فى نداء أسماء الأجناس قصـــدا الى الاختصـار والاحتراز عن تكلف التنبيه المشعر بالغفلة التى لا تناسب ذلك المقام •

واختير لفظ الأرض والسماء على سائر أسمائها كالمقلة والغبراء وكالمظلة والخضراء لكونهما أخصر ، وأورد فى الاستعمال وأوفى بالمطابقة فان تقابلهما انما اشتهر بهذين الاسمين •

واختير لفظ (ابلعى) على ابتلعى لكونه أخصر وأوفر تجانســا (باقلعى) •

وقيل : (ماءك) بالافراد دون الجمع لما فيه من صورة الاستكثار المتأبى عنها مقام اظهار الكبرياء وهو الوجه فى افراد الأرض والسماء• وقيد الابتلاع بالمفعول الماء حتى لا يستلزم تركه ما ليس بمـراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء بأسرهن نظـرا الى مقام عظمة الأمر المهيب وكمال انقياد المأمور ، ولم يذكر متعلق (اقلعى) وهو الماء أيضا لأنه قد علم ذلك فاختصر الكلام احترازا عن الحشو المستغنى عنه ، وهذا هو السبب فى ترك ذكر حصول المأمور به بعد الأمر فلم يقل : قيل يا أرض ابلعى فبلعت وياسماء اقلعى فقلعت لأن مقام الكبرياء وكمال الانقياد يغنى عن ذكـره الذى ربمـا أوهم امكان المخالفة •

وقيل : (الماء) دون ماء الطوفان وكذا (الأمر) دون أمر نوح لقصد الاختصار وحرف التعريف (ال) فيهما يغنى عن الأضافة لأنه بدل عنها • أو هو بمثابة الأشارة الى المعهود • كذا يتلاءم الفعل (استوت) مع (تجرى) لأن كلا منهما مسند الى السفينة لذلك لم يبن (استوت) للمجهول قيل : سويت وفى المصدر (بعدا) دلالة قوية على التأكيد ، لأنه بمنزلة ليبعدوا بعدا مع الاختصار •

كذلك اللام فى (للقوم) تدل على استحقاق الهلاك بسبب الظلم• وفى اطلاق الظلم عن مقيداته فى مقام المبالغة يفيد دخول كل نوع فيه •

ترتيب الجمل :

قدمت جملة النداء على الأمر لأن المقتضى أن يقدم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه فى نفس المنادى ، وقدم الأمر للأرض على أمر السماء لأنه الأصل • نظرا الى كون ابتداء الطوفان منها • ثم جعل سبحانه (وغيض الماء) تابعا لأمر الأرض والسماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها •

ألا ترى أصل الكلام :

قيل يأرض ابلعى ماءك فبلعت ماءها وياسماء أقلعى عن ارسال الماء فأقلعت عن ارساله وغيض الماء النازل من السماء » (٥٦) •

ان فى التعبير المعجز تصويرا يقوم على تشبيه الأرض والسماء بالعاقل المأمور المطيع الذى لا يتأتى منه العصيان لكمال هيبته من الأمر • وعلى تشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ فى تكوين المقصود تصوير لاقتداره سبحانه وأن هذه الأجرام العظيمة من السموات والأرض تابعة لأرادته تعالى ايجادا واعداما ولمشيئته فيها

---

(٥٦) روح المعانى (باختصار) ٦٦/١٢ •

تغييرا وتبديلا ان النداء الموجه للأرض والسماء يبرزهما عقلاء مميزين قد عرفوا الله جل شأنه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره والاذعان لحكمه .

دخول حرف النداء على ما ليس بمنادى :

ورد من ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى : « قال : ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » يس/٢٧ .

وقوله : « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون » (يس/٣٠) .

واذا ولى (يا) الندائية ما ليس بمنادى كالفعل فى قوله تعالى: « ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض»(النمل/٢٥)

والحرف فى نحو « يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما » .

والجملة الاسمية فى قول الشاعر :

يا لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

فقيل ان (يا) عندئذ للنداء والمنادى محذوف . وقيل : هى لمجرد التنبيه لئلا يلزم الأجحاف بحذف الجملة كلها .

وقال ابن مالك أن وليها دعاء أو أمر فهى للنداء لكثرة وقوع النداء قبل الدعاء والأمر ، والا فهى للتنبيه .

ذلك لأن الذى ينادى هو الذوات فاذا جاء بعد أداة النداء ما ليس بذات أشكل .

والظاهر ان (يا) للنداء فى قوله تعالى « ياحسرة على العباد ».

وحسرة هو المنادى ونداؤها مجاز بتنزيلها منزلة العقلاء كأنه قيل، ياحسرة احضرى فهذه الحال من الأحوال التى من حقها أن تحضرى

فيها • وطابع الندم يجلل هذا اللون من النداء اذ تتلاشى فيه أطياف طلب اقبال المنادى فيبدو كأنه اظهار لواعج النفس وابداء حسرات القلب فى صورة مجسدة •

وهذه صورة يقرب منها نداء الشخص نفسه كقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كل الناس أفقه منك يا عمر ! » فى أن كلتيهما خرجت عن أصل النداء الى معنى الندم والتحسر أو التعجب أو الاختصاص أو الاستغاثة أو التأنيب •

وفى ذلك تعظيم للأمر أحيانا ، وافراد له من بين أمور كثيرة أحيانا أخرى — وذلك يستدعى أن ينبه له بذكر حرف النداء •

« و (يا حسرة) نداء مشابه للمضاف كقولهم : يا خيرا من زيد ويا سائرا الى الشام ونداء مثل هذه الأشياء التى لا تعقل ، تنبيه المخاطبين كأنه يقول لهم تحسروا على هذا وادعوا الحسرة وقولوا لها احضرى فهذا وقتك » (٥٧) •

وقد تخرج أمثال تلك التراكيب على حذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه وذلك أمر مشهور فى كلام العرب وعليه فسر قوله تعالى « ألا يسجدوا لله » •

فى قراءة من قرأ (ألا) بالتخفيف حيث جعلت للتنبيه وجعل (يا) حرف نداء والمنادى محذوف والتقدير فيه : يا هؤلاء اسجدوا • ويرى ابن جنى أن يا هنا تجردت لمعنى هو التنبيه فاذا دخلت ألا على (يا) خلصت ألا افتتاحا وخص التنبيه بـ (يا) (٥٨)

والنداء المراد به الاختصاص فيه تأكيد وتركيز يقول السكاكى :

---

(٥٧) البيان فى غريب اعراب القرآن لابن الأنبارى ٢/٢٩٤ •
(٥٨) الخصائص ٢/١٩٦ ، ٢٧٩ •

وههنا نوع من الكلام صورته صورة النداء وليس بنداء فننبه عليه وتلك الصورة هى قولهم : أما أنا فأفعل كذا أيها الرجل ونحن نفعل كذا أيها القوم واللهم اغفر لنا أيتها العصابة يراد بهذا النوع من الكلام الاختصاص على معنى أنا أفعل كذا متخصصا من بين الرجال (٥٩) .

النداء مصحح للعطف بين الجمل

تقوم أداة النداء فى بعض الأساليب مقام الواو العاطفة بين الجمل ذكر السيد الشريف من اللطائف أن النداء مصحح لعطف جملتين الأمر فى كل جملة لمخاطب غير الآخر فمثلا اذا قلنا : اكتب الدرس يا مهمل وانصت محمد لا يحسن وانما يحسن اذا قلنا يا محمد اكتب الدرس ويا على ساعد أخاك . يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى أسد باحسانى اليهم (٦٠) .

ويقول القرطبى : وجاءوا بـ (يها) عوضا عن (يا) اخرى وانما لم يأتوا بياء لئلا ينقطع الكلام فجاؤا بها ليبقى الكلام متصلا ، وقال سيبويه : كأنك كررت الياء مرتين وصار الاسم بينهما كما قالوا ها هوذا .

هذا قليل من كثير عن النداء أرجو أن يكون مؤشرا يرشد وطريقا لغاية هى أحمد وبدءا لمسيرة غايتها ابراز خصائص هذه اللغة وايضاح مواطن الجمال فيها .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د. صبحى رشاد عبد الكريم

---

(٥٩) مفتاح العلوم/١٥٤ .

(٦٠) حاشية السيد على الكشاف ١/٢٥٤ .